

تفسير ابن كثير

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ

وأما تفسيرها فقوله تعالى : (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله) أي

: من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذکر الحكيم على قلبك من الله

بإذنه له في ذلك ، فهو رسول من رسل الله ملكي [عليه وعلى سائر إخوانه من الملائكة

السلام] ومن عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل ، كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه

الإيمان بجميع الرسل ، وكما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل ، كما قال

تعالى : (إن الذين يكفرون بالله ورسوله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون نؤمن

ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا

للكافرين عذابا مهينا) [النساء : 150 ، 151] فحكم عليهم بالكفر المحقق ، إذ آمنوا

ببعض الرسل وكفروا ببعضهم وكذلك من عادى جبريل فإنه عدو الله ؛ لأن جبريل لا

ينزل بالأمر من تلقاء نفسه ، وإنما ينزل بأمر ربه كما قال : (وما ننزل إلا بأمر ربك له ما

بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا) [مريم : 64] وقال تعالى : (وإنه

لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين) [الشعراء : 192

- 194] وقد روى البخاري في صحيحه ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : " من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب " . ولهذا غضب الله لجبريل

على من عاداه ، فقال : (من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما

بين يديه) أي : من الكتب المتقدمة (وهدى وبشرى للمؤمنين) أي : هدى لقلوبهم

وبشرى لهم بالجنة ، وليس ذلك إلا للمؤمنين . كما قال تعالى : (قل هو للذين آمنوا هدى

وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد) [

فصلت : 44] ، وقال تعالى : (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد

الظالمين إلا خسارا) [الإسراء : 82] . ثم قال تعالى : (من كان عدوا لله وملائكته

ورسله وجبريل وميكايل فإن الله عدو للكافرين) يقول تعالى : من عاداني وملائكتي

ورسلي ، ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر ، كما قال تعالى : (الله يصطفي من

الملائكة رسلا ومن الناس) [الحج : 75] . (وجبريل وميكايل) وهذا من باب عطف

الخاص على العام ، فإنهما دخلا في الملائكة ، ثم عموم الرسل ، ثم خصصا بالذكر ؛ لأن

السياق في الانتصار لجبريل وهو السفير بين الله وأنبيائه ، وقرن معه ميكائيل في اللفظ ؛ لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم وميكائيل وليهم ، فأعلمهم أنه من عادى واحدا منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضا ؛ لأنه أيضا ينزل على الأنبياء بعض الأحيان ، كما قرن برسول الله صلى الله عليه وسلم في ابتداء الأمر ، ولكن جبريل أكثر ، وهي وظيفته ، وميكائيل موكل بالقطر والنبات ، هناك بالهدى وهذا بالرزق ، كما أن إسرافيل موكل بالصوت للنفخ للبعث يوم القيامة ؛ ولهذا جاء في الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يقول " اللهم رب جبريل وإسرافيل وميكائيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم " . وقد تقدم ما حكاه البخاري ، ورواه ابن جرير عن عكرمة أنه قال : جبر ، وميك ، وإسراف : عبيد . وإيل : الله . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أحمد بن سنان ، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن إسماعيل بن رجاء ، عن عمير مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : إنما قوله : " جبريل " كقوله : " عبد الله "

و " عبد الرحمن " . وقيل جبر : عبد . وإيل : الله . وقال محمد بن إسحاق ، عن الزهري ،
عن علي بن الحسين ، قال : أتدرون ما اسم جبرائيل من أسمائكم ؟ قلنا : لا . قال : اسمه
عبد الله ، قال : فتدرون ما اسم ميكائيل من أسمائكم ؟ قلنا : لا . قال : اسمه عبيد الله .
وكل اسم مرجعه إلى " يل " فهو إلى الله . قال ابن أبي حاتم : وروي عن مجاهد وعكرمة
والضحاك ويحيى بن يعمر نحو ذلك . ثم قال : حدثني أبي ، حدثنا أحمد بن أبي الحواري
، حدثني عبد العزيز بن عمير قال : اسم جبريل في الملائكة خادم الله . قال : فحدثت
به أبا سليمان الداراني ، فانتفض وقال : لهذا الحديث أحب إلي من كل شيء [وكتبه]
في دفتر كان بين يديه . وفي جبريل وميكائيل لغات وقراءات ، تذكر في كتب اللغة
والقراءات ، ولم نطول كتابنا هذا بسرد ذلك إلا أن يدور فهم المعنى عليه ، أو يرجع
الحكم في ذلك إليه ، وبالله الثقة ، وهو المستعان . وقوله تعالى : (فإن الله عدو للكافرين)
فيه إيقاع المظهر مكان المضمرة حيث لم يقل : فإنه عدو للكافرين . قال : (فإن الله عدو
للكافرين) كما قال الشاعر : لا أرى الموت يسبق الموت شيء نغص الموت ذا الغنى
والفقير أو قال آخر : ليت الغراب غداة ينعب دابئا كان الغراب مقطوع الأوداج وإنما أظهر

الاسم هاهنا لتقرير هذا المعنى وإظهاره ، وإعلامهم أن من عادى أولياء الله فقد عادى الله ، ومن عادى الله فإن الله عدوله ، ومن كان الله عدوه فقد خسر الدنيا والآخرة ، كما تقدم الحديث : " من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب " . وفي الحديث الآخر : " إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب " . وفي الحديث الصحيح : " ومن كنت خصمه خصمته " .